مجلة عصور الجديدة- المجلد 9 – العدد 1 (ماي) 1440هـ/2019م
ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

نُصُوصٌ من التَّاريخ المفقُود لابن أبي الصَّلْت الدَّانيّ الأندلُسيّ، دراسةٌ في المُحْتوى والمنْهَج التاريخيّ

Texts of the lost History of Ibn Abi Salt Andalusian, a Study of the Content and Historical Method

أ.د. محمَّد على دبُّور صص83-101

Prof. Mohamed Ali Dabbour

دكتوراه من جامعة كومبلوتنسي بمدريد (إسبانيا)

وأستاذ التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة (مصر)

mdabbour2000@yahoo.com

تاريخ استقبال المقال:2019/01/27، تاريخ المراجعة:2019/02/04:، تاريخ القبول: 2019/02/06.

الملخص: ابنُ أبي الصَّلْت الدانيُّ الأندلسي واحدٌ من أشهر أعلام النُّخبة العلميَّة في تاريخ الأندلس خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ويُعَدُّ من الشخصيات الأندلسيَّة الموسوعيَّة، فقد برع في العديد من العلوم والآداب والفنون، والأكثرية يعرفونه شاعرًا، والبعض يعرفونه طبيبًا، وآخرون يعرفونه فلكيًّا أو فيلسوفًا أو مهندسًا، وهناك دراساتٌ عديدة عُنيت بهذه الجوانب في حياته، لكن يُضاف إلى كل هذا أنه كان- أيضًا- مؤرخًا من طراز فريد، فقد وردت في المصادر التاريخية إشاراتٌ مهمة إلى كتابه في التاريخ، وهذا الجانبُ عنده لم يحظ بالاهتمام الكافي، وهو جانبٌ مهمٌّ وجديرٌ بالعناية والدِّراسَة والتقصِّي والبحث، ولذا خصصنا له هذه الدراسة؛ لبيان مكانته بين مؤرخي عصره من خلال بعض النصوص التي نقلها اللاحقون عن كتابه التاريخي المفقود: "الدِّيبَاجة في مفَاخِر صِنْهَاجَة"، وقد ألَّف هذا الكتاب في تاريخ بني زيري الصنهاجيين حكام المهدية، وقصد أن يجعله ذيلاً لكتاب الرقيق القيرواني (تاريخ إفريقية والمغرب)، وتركزت نصوصه حول الدولة الصنهاجية في إفريقية، بدءًا من المعز بن باديس ومَن جاء بعده من أولاده وأحفاده، لذا فقد اعتبرناه مؤرخًا للدولة الصِّنْهَاجيَّة بإفريقية وبجاية.

الكلمات المفتاحية: الأندلس؛ التاريخ؛ المهدية؛ صنهاجة؛ بنو زيري؛ إفريقية؛ مؤرخ؛ أبو الصلت.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

Abstract: *Ibn Abi Salt of Denia was one of the most famous flags of the scientific elite in the history of Al-Andalus during the sixth century AH / 12th century, and was an Andalusian encyclopedias. He excelled in many sciences, as well as, in literature and arts. The majority knows him as poet, some know him as a doctor, as a philosopher, or as an engineer, and there are many studies that had been concerned with these aspects in his life. In addition to all these arts and sciences, he was also a historian of a unique model. He had contained in historical sources important references of his book in history, and this aspect has not received enough attention, which is important and worthy of care and study. Therefore, we devoted this study to him to show his position among the historians of his time through some of the texts that were later transferred to his missing historical book: «Preamble in Sinhaja's boasts" (Al-Dibaga fi mafajir Sinhaja). This book was written in the history of the Bani Ziri of Sinhaja Princes of Mahdia, and intended to make him the tail of the book of Al-Raqiq Al-Kairawany (history of Africa and Morocco). Furthermore, he focused texts on the Sinhaja state in Africa, starting with Al- Moiz ibn Badis and the subsequent descendants of his children and grandchildren, so we considered him a historian of the state Sinhaja in Ifriquia and Bejaya.*
key words: *Al-Andalus; History ; Al-Mahdia ; Sinhaja; Banu Ziri ; Ifriquia ; Historian ; Abu-l-Salt.*

المقدِّمة: لا يزال التراثُ الأندلسيُّ بحاجة إلى المزيد من الأبحاث والدراسات للكشف عن جهود العلماء في المجالات العلميَّة المختلفة، ولمعرفة حجم الإضافات التي قدَّمها الأندلسيون للتراث العلميّ الإسلاميّ بشكلٍ خاص، وللتراث الإنسانيّ بشكلٍ عام، فقد شهد التاريخُ الأندلسيُّ نهضةً فكريةً بدأت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ونشطت بشكلٍ واضح وكبير في القرون التالية، حيث برزت فيها شخصياتٌ علميةٌ أدت دورًا مهمًّا في تحديد مسارات ذلك التاريخ برسمها للواجهة الفكرية له من خلال إسهامهم في تأسيس وتطوير العديد من العلوم، ومن هؤلاء العلماء الذين كان لهم سهمٌ وافرٌ في ذلك "أبو الصّلْت أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصّلْت الدانيُّ".

يُعَدُّ ابنُ أبي الصَّلْت الدانيُّ من الشخصيات الأندلسيَّة الموسوعيَّة، فقد برع في العديد من العلوم والآداب والفنون؛ فهو الشاعرُ والأديبُ والطبيبُ والفيلسوفُ والفلكيُّ والموسيقيُّ والمهندسُ والمؤرِّخُ، وما يهمنا هنا هو كونُهُ مؤرخًا، أما الجوانب الأخرى فقد أجريت عن كل واحد منها العديدُ من الدراسات والأطروحات والأبحاث التي كشفت عن نبوغه وتميزه وموسوعيته بين أقران عصره.

أما الجانبُ التاريخيُّ عنده فلم يحظ بالاهتمام الكافي، وهو جانبٌ مهمٌّ وجديرٌ بالعناية والدِّراسَة والتقصِّي والبحث، ولذا سنخصِّصُ هذه الصفحات عنه؛ لبيان مكانة ابن أبي الصَّلْت بين مؤرخي عصره من خلال بعض النصوص التي نقلها اللاحقون عن كتابه التاريخي المفقود: "الدِّيبَاجة في مفَاخِر صِنْهَاجَة".

أولاً: ابنُ أبي الصَّلْت الدَّانيّ: حياتُه وعصرُهُ: كان ابنُ أبي الصَّلْت الدانيُّ واحدًا من أشهر أعلام النخبة العلمية في تاريخ الأندلس خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، حيث تميز بالموسوعية والدقة في كثير من المجالات العلمية، ورغم هذه الشهرة وتلك المكانة فما زال بحاجة إلى بذل المزيد من الجهد لكشف النقاب عن عبقرية جديدة من عبقريات الفردوس المفقود، لذلك رأينا أن نبدأ بحثنا هذا بالحديث عن الجوانب المتعددة من حياته الشخصية والعلمية لنعرفه عن كَثَبٍ، ونتعرف على مهاراته العلمية وعلاقاته السياسية.

-مولده- أصله ونسبه: هو أميّةُ بن عبد العزيز بن أبي الصَّلْت الأندلُسيّ، اشتُهر بكنية أبي الصَّلت[1]، ويعرف بالأديب الحكيم، وُلد سنة 460هـ/1067م ببلدة دانيَة[2] من شرق الأندلس، وفي مدينة إشبيلية[3]- مدينة الفنون والآداب والموسيقى- تعلّم وترعرع في بيئة ثقافية متميّزة بتطوّرها وتنوّعها، لذا فإنه يُنسب إليها أحيانًا، فيقال له الإشبيليُّ، بل جعله ابنُ الأبار من أهل إشبيلية بحكم نشأته وإقامته الطويلة فيها[4]، وكان لطيفَ النادرة، فصيحَ اللسان، جيّدَ المعاني، ولشعره رَوْنَقٌ[5].

-دراسته وشيوخه: أشرنا آنفًا إلى أن ابن أبي الصَّلْت تلقى العلم أول مرة في إشبيلية بالأندلس على شيوخ عصره، لكن- للأسف- لم تمدنا المصادر بأسماء أولئك الشيوخ الذين تلقى عنهم العلم، ولم تذكر من بين هؤلاء إلا واحدًا هو أبو الوليد هشام بن أحمد بن خالد بن هشام الكناني، المعروف بالوقَّشي، نسبةً إلى "وقَّش"[6] من أعمال طليطلة، وكان أحد رجال الكمال في وقته باحتوائه على فنون المعارف، وجمعه لكليات العلوم[7]، وعبر الذهبي عن موسوعيته فقال: "العلامة البحر ذو الفنون"، والمتوفى بدانية سنة 489هـ/1095م[8].

-ذكر العلماء لمكانته وقيمته: ذكره ابنُ الأبّار في كتابه التكملة لكتاب الصّلة فقال: "خرج من بلده ابن عشرين سنة (أي سنة 480هـ/1087م)، وقصد مصر فأقام بها

عشرين سنة يطلب العلم، فتفنّن في الطب والآداب والعروض والتاريخ،... وكان من أفراد العلماء، وفحول الشعراء والأدباء، وله تواليفُ في فنونٍ شاهدةٌ بفهمه ودالَّةٌ على سعة علمه..."[9].

وقال عنه الذهبيُّ في العبر: "وأبو الصّلت أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصلت الدّاني الأندلسي صاحب الفلسفة، وكان ماهرًا في علوم الأوائل: الطبيعي والرياضي والإلهي، كثيرَ التصانيف، بديعَ النظم، عاش ثمانيًا وستين سنة، وكان رأسًا في معرفة الهيئة والنجوم والموسيقى، تنقل في البلاد ومات غريبًا"[10].

وقال ابنُ خلكان في وفيات الأعيان: "أبو الصَّلْت أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصَّلْت الأندلسي الداني، كان فاضلاً في علوم الآداب، صنف كتابه الذي سمَّاه الحديقة على أسلوب يتيمة الدهر للثعالبي، وكان عارفًا بفن الحكمة، فكان يُقال له: الأديب الحكيم، وكان ماهرًا في علوم الأوائل، وانتقل من الأندلس، وسكن ثغر الإسكندرية، وذكره العماد الكاتب في الخريدة، وأثنى عليه، وذكر شيئًا من نظمه"[11].

أمّا العمادُ الأصفهانيُّ فقد تحدّث عن أميّة بن أبي الصَّلْت في كتابه خريدة القصر وجريدة العصر فقال: "كان أوحدَ زمانه، وأفضلَ أقرانه، متبحّرًا في العلوم، وأفضل فضائله إنشاء المنثور والمنظوم، وكان قدوةً في علم الأوائل، ذا منطق في المنطق بذَّ سحبان وائل"[12].

-أميّة في المهدية في بلاط الدولة الصنهاجيّة: في العشرين من عمره (أي سنة 480هـ/1087م) غادر أميّةُ الأندلس إلى العدوة المغربية، حيث التحق بإفريقية، واتصل في المهدية[13] بالأمير تميم بن المعز (453-501هـ/1061-1107م)، وكان- مثل والده ومثل أغلب أمراء صنهاجة- أديبًا شجاعًا، محبًّا للأدب والأدباء، جوادًا كريمًا، وكان عصره عصر علوم رغم ما عانته إفريقية من تخريب وتدمير على يد بني هلال وبني سُليم، وبرغم الهجمات المتكررة لجيش النّورمان الصقليين عليها من البحر[14].

وقد أدرك الأمير تميم ما يتمتع به أميّة من ذكاء وسعة اطلاع، وإلمام بعلوم التاريخ، وتمكن من الموسيقى، ومعرفة بالفنون المختلفة، فقربه إليه، وسرعان ما أصبح من خاصته ومن رجال دولته.

سفارته ومحنته بمصر: نظرًا للمكانة العالية التي احتلها أمية بن أبي الصَّلْت في بلاط الأمير تميم، بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من الحنكة وسعة الثقافة، فقد كلف بمهمة سياسية لدى أمير مصر، فتوجه إليها أمية ليقوم بما كُلِّف به، قال ابنُ سعيد الأندلسي: "وتوجَّه في رسالة إلى مصر"[15]، وقال المقري: "وكان وجَّهَهُ صاحبُ المهدية إلى ملك مصر..."[16]، فقدم الإسكندرية سنة 489هـ/1096م كما يروي ابنُ خلكان[17]، في حين حدَّد ابنُ أبي أصيبعة تاريخ دخوله إلى ديار مصر في حدود سنة 510هـ/1116م[18]، أما ابنُ الأبار فذكر أن أبا الصَّلْت خرج من بلده طالبًا العلم وهو ابن عشرين سنة، ثم عاد من رحلته العلمية، فنزل المهدية على رأس الخمسمائة ليقيم هناك بين أحضان ملوكها[19].

وعند دخوله إلى مصر كان أميرها في ذلك الوقت الوزير الأفضل بن بدر الجمالي (487-515هـ/1094-1121م)[20]، وفي القاهرة استُقْبِل أميةُ استقبالاً رسميًّا حارًّا، ورحب به الأمير المصري، وأدرك ما يتمتع به أميّة من ذكاء وثقافة واسعة وعلم غزير، لكن لسوء الحظ انقلبت عليه الدوائر بسبب حادث غريب اتفق حدوثه خلال إقامته بمصر.

وقد أمدتنا المصادرُ التاريخيةُ بمعلومات عن هذا الحادث، وكانت صورته أن مركبًا محمَّلاً بالبضائع الثمينة غرق في عرض بحر الإسكندرية بما عليه من البضائع، وكانت خسارة الجميع كبيرة بسبب هذه النكبة، واحتار الجميع في حل هذه المشكلة، والوصول إلى وسيلة لإنقاذ المركب وما عليه من بضائع، فتعهد أميّة بإخراجه، وباشر عمله مستعملاً أدق الوسائل الفنية المتاحة آنذاك، وعالج السفينة إلى أن طفت على الماء، ولكنها سرعان ما رسبت في قاع البحر بعد أن فشلت المحاولة وانقطعت الحبال والأرسان، فغضب الأمير وأمر بحبس أميّة[21]، حيث سيق إلى دار بها خزانة كتب كبيرة، فيها كتب كثيرة في مختلف الفنون، وهناك ظل سنوات طويلة (عشرين سنة)، فانكب على مطالعة تلك المجموعات الكبرى من الكتب النفيسة، فأثرى معلوماته، وتعمّقت ثقافته، وتطوّرت معارفه في مجالات الفلسفة والطب والموسيقى وغيرها.

وقال ابنُ سعيد الأندلسي عن حبس أمية وأثره على ثقافته وتنوعها: "فسُجن في القاهرة في خزانة البنود[22]، وكان فيها خزائنُ من أصناف الكتب، فأقام بها نحو

عشرين سنة، فخرج منها وقد برع في علوم كثيرة من حديثة وقديمة، واستقر فترة في إفريقية، ثم عاد إلى المهدية، فجلَّ قدره، وعَظُم عند ملوكها ذِكْرُه، وأعقب هنالك عقبًا نابهًا[23].

وكما ورد في النصّ السابق لابن سعيد، فقد أُطْلِقَ سراحُ أمية بعد عشرين سنة، بعد أن شفع فيه بعضُ الأعيان، وكان ذلك في خلافة الآمر بأحكام اللّه (495-524هـ/1101-1129م)، ووزارة الملك الأفضل بن أمير الجيوش (487-515هـ/1094-1121م) كما قال ابنُ أبي أصيبعة[24].

وبعدها عاد أميةُ إلى المهدية سنة 506هـ/1112م، حيث واصل علاقاته بأمراء الدولة الصنهاجية، وظل في خدمة الأمير يحيى بن تميم، بعد وفاة والده سنة 501هـ/1107م[25]، وكان مثل والده محبًّا للعلماء والأدباء والشعراء، وكان شاعرًا جوادًا كريمًا، وأميرًا حكيمًا رغم كل المصاعب والمتاعب والتحديات الداخلية (تخريب الأعراب)، والخارجية (هجمات النّورمان على سواحل بلاده)، رغم كل ذلك فقد رحب الأمير يحيى بسفير والده، وقربه، وكان لأمية قصائد عديدة في مدح الأمير يحيى، ثم علي، ثم الحسن آخر الأمراء، وقد ضمّنها كتابه "حديقة الأدب".

وقد أشار ابنُ سعيد الأندلسي إلى رحلة حياته، فقسمها إلى ثلاث مراحل، فقال: "يقال إن عمره كان ستين سنة؛ عشرون في إشبيلية، وعشرون في المهدية، وعشرون في مصر محبوسًا في خزانة الكتب"[26].

مؤلفاته ومصنفاته: لأبي الصّلْت أميّة بن عبد العزيز مؤلفات كثيرة ومتنوعة في مختلف الفنون والعلوم، فضلاً عن أشعاره في مختلف الأغراض، لكن ديوانه مفقود إلى الآن رغم غزارة إنتاجه الشعري، ومن أشهر مؤلفاته:

1- "الرسالة المصرية": وقد كتبها أيام اعتقاله بمصر، حيث وصف فيها ما رآه هناك من الآثار، ودوَّن انطباعاته عن أهلها، وعن العلماء والأطباء والمنجمين والشعراء وأهل الأدب الذين اتصل بهم في القاهرة والإسكندرية، وبالجملة فقد وصف فيها أحوال مصر جغرافيًّا وبشريًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا، وضمنها تراجم وانتقادات لبعض أطبائها، وقد ألف هذه الرسالة لأبي الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس[27].

2- "حديقة الأدب": وهو من أشهر كتبه، وقد ترجم فيه للعديد من الشعراء والأدباء المعاصرين له، وعلى هذا الكتاب اعتمد العماد الأصفهاني في خريدة القصر وجريدة العصر (الجزء الثاني)، فاستمد منه المادة المتعلقة بالحديث عن عدد من الشعراء ذكرهم أميّة بن عبد العزيز في كتابه: "حديقة الأدب"، وقد نسج على نفس المنوال الشاعر القيرواني ابن رشيق في كتابه: "أنموذج الزمان"، حيث اعتمد على كتاب أميّة للغرض نفسه، متحدثًا عن معاصري أميّة بن عبد العزيز من الشعراء والأدباء.

3- "رسالة في الموسيقى": كما ألّف أميّة رسالة في الموسيقى، وبرع في الألحان وأجاد فيها، وعنه أخذ أهل إفريقية الألحان التي هي الآن بأيديهم، كما كان جيد اللعب بالعود، وقد ترجمت رسالته في الموسيقى إلى اللغة العبرية، وبقيت الترجمة وضاع الأصل العربي[28]، وكان "من أمتن علومه الفلسفة والطب والتلحين، وله في ذلك تواليف تشهد بفضله ومعرفته، وكان يكنى بالأديب الحكيم، وهو الذي لحن الأغاني الإفريقية، قال ابن سعيد: وإليه تنسب إلى الآن"[29].

كتاب الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والآلية: وهو مختصر قد رتبه ابن أبي الصلت أحسن ترتيب، وتحدث فيه عن منافع هذه الأدوية بحسب فعلها في كل عضو من أعضاء البدن، وأتمه في أثناء سجنه بالقاهرة، ونظرًا لأهمية الكتاب وقيمته العلمية العالية فقد ترجمه إلى اللاتينية آرنولد الفيلانوفي، كما تُرجم إلى العبرية أيضًا، ومنه نسخٌ في المكتبات العربية في دمشق، والمغرب، وبعض مدن أوربا، وكان ابن أبي الصلت من أكابر الفضلاء في صناعة الطب، وفي غيرها من العلوم، وله التصانيف المشهورة والمآثر المذكورة، وقد بلغ في صناعة الطب مبلغًا لم يصل إليه غيره من الأطباء.

4- كتاب في الصيدلة: ترجمه إلى اللاتينية آرنولد الفيلانوفي.

5- كتاب الانتصار لحنين بن إسحاق في الرد علي ابن رضوان في تتبعه لمسائل حنين.

6- كتاب الملح العصرية من شعراء أهل الأندلس والطارئين عليها.

7- كتاب في الهندسة: حيث كان أوحد زمانه في العلم الرياضي.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

8- رسالة في العمل بالأسطرلاب: كتبها وهو في سجنه، ونسخها الخطية موزعة بين دمشق والموصل وإيران وتركيا وأكسفورد.

9- كتاب تقويم الذهن (في المنطق): وقد كان هذا الكتاب موضع اهتمام من المستشرقين، فقد ترجمه إلى اللغة الإسبانية المستشرق الإسباني آنخل جونثالث بالنثيا[30].

10- كتاب في التنجيم.

11- نظم في الفلك والأسطرلاب: بيَّن فيه عدم اعتقاده بالتنجيم، ورفضه لأقوال المنجمين.

12- الوجيز في علم الهيئة: قدّمه للأفضل بن بدر الجمالي.

13- ديوان شعره: مرتب بحسب الحروف، وقد أشرنا إلى أن ديوانه مفقود رغم غزارة إنتاجه الشعري، ويبدو أنّ ديوانه كان ضمن مؤلّفاته، ولكنّه ربّما فُقد خلال هروبه من المهدية ولجوئه إلى المنستير، حيث قضّى بقيّة حياته هناك، ومعلوم أنّ هناك من اطّلع على هذا الدّيوان، فقد أفاد العماد الأصفهاني- وهو من كبار رجال الدولة الأيوبيين، (المعاصرين للصنهاجيين) أنّه سمع أبا الفتح نصر بن عبد الرّحمن بن إسماعيل الفزاري ببغداد، حيث روى له كثيرًا من شعره، ثمّ يضيف العماد الأصفهاني مؤكّدًا أنّه بعد ذلك وقع الديوان في يده في دمشق، فأخذه وانتقى منه ما أورده، وعلّق على القصائد الموجودة قائلا: "...وكلّ شعره منقّح، مستملح، صحيح السّبك، محكم الحوك، نظيم السّلك، قويم الفلك، وكان ذلك سنة 522هـ/1128م، أي أنّ الديوان ظهر في دمشق وأميّة ما يزال حيًّا مقيمًا بالمنستير (حتى سنة 528هـ/ 1133م)[31].

وقد أمدنا ابنُ سعيد الأندلسي بملخص عن مؤلفاته، فقال: "وصنَّف كتاب الحديقة، على منزع كتاب اليتيمة، في فضلاء عصره، وصنَّف الرسالة المصرية، وصنَّف في الطب والتنجيم والألحان، وعنه أخذ أهل إفريقية الألحان التي هي الآن بأيديهم"[32].

14- تاريخ ابن أبي الضَّلْت: وهو الذي أفردنا له هذا البحث، وسيأتي الكلام عنه بالتفصيل في الصفحات التالية.

- **وفاة أمية بن أبي الصَّلْت:** وكانت وفاة أمية بن أبي الصَّلْت- على الراجح- يوم الاثنين مستهل المحرم سنة 529هـ/1134م بالمهدية، ودفن في بلدة المنستير غربي تونس[33].

ثانيًا: أمية بن أبي الصَّلْت مُؤرِّخًا: لعل أغلب مَن يعرفون أمية بن أبي الصَّلْت يعرفونه شاعرًا، والبعض يعرفونه طبيبًا، وآخرون يعرفونه فلكيًّا، أو فيلسوفًا أو مهندسًا، وهناك دراساتٌ عديدة عُنيت بهذه الجوانب في حياته، لكن يُضاف إلى كل هذه الفنون والعلوم التي أتقنها أميةُ وبرع فيها أنه كان- أيضًا- مؤرخًا من طراز فريد، فقد وردت في المصادر التاريخية إشارات مهمة إلى كتابه في التاريخ، فقد ذكر ابنُ الأبار أن لابن أبي الصَّلْت كتابًا في التاريخ أفاد منه كثيرًا في مصادره المتنوعة، وفي كل مرة ينقل عنه كان يقول: "ذكر ذلك أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصَّلْت في تاريخه..."[34]، كما أشار صاحب مفاخر البربر إلى هذا التاريخ، بل جعله عمدة في مطالعة أخبار ملوك صنهاجة وسيرهم، ولكنه لم يذكر عنوانه، واكتفى بقوله عن ملوك صنهاجة: "ومن أراد الوقوف على أخبارهم وسيرهم فليطالع كتاب الديباجة، وكتاب النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة، وكتاب أبي الصَّلْت الذي ألفه للحسن صاحب المهدية...."[35]، وكذلك فعل ابنُ عذارى المراكشي، ولكنه- أيضًا- لم يُصرِّح بعنوان كتاب ابن أبى الصلت الذي نقل عنه، واكتفى في مقدمة كتابه (البيان المغرب) بالإشارة إليه ضمن مصادره، فقال: "ومن كتاب ابن أبى الصَّلْت"[36]، بينما أشار التجاني في رحلته إلى أن هذا الكتاب يُعدُّ ذيلاً لكتاب الرقيق القيرواني المعروف (تاريخ إفريقية والمغرب)، وهي إشارة في غاية الأهمية، لكنه لم يذكر لنا أيضًا عنوان هذا الذيل واكتفى بقوله: "قال أبو الصَّلْت في كتابه الذي ذيَّل به على كتاب الرقيق"[37].

- **عنوان تاريخ ابن أبي الصَّلْت:** رغم أن العديد من المصادر التاريخية لم تذكر عنوان كتاب التاريخ لابن أبي الصَّلْت كما رأينا سابقًا إلا أننا- وبعد البحث- وقفنا على عنوان هذا الكتاب في ثلاثة مصادر؛ الأول: معجم الأدباء لياقوت الحموي، حيث سرد لنا مؤلفات ابن أبي الصَّلْت، وذكر من بينها كتاب: الدِّيبَاجَة في مَفَاخِر صِنْهَاجَة[38]، والثاني: الوافي بالوفيات لابن أيبك الصفدي[39]، والثالث: هدية العارفين للبغدادي[40]،

لكن نلاحظ أن صاحب مفاخر البربر قد ميز في النص الذي أوردناه سابقًا بين كتاب الديباجة المذكور وكتاب أبي الصَّلْت[41]، مما يشكك في نسبة كتاب الديباجة إلى أبي الصَّلْت[42]، لكن ليس أمامنا إلا اعتماد المعلومة التي قدَّمها كلٌّ من ياقوت الحموي في معجم الأدباء وابن أيبك الصفدي في الوافي بالوفيات، ووافقهما عليها إسماعيل البغدادي في هدية العارفين، والتي تؤكد أن عنوان الكتاب هو: الدِّيبَاجَة في مَفَاخِر صِنْهَاجَة.

- **موضوع الكتاب ومحتواه:** من خلال نصوص الكتاب الواردة في المصادر التي نقلت عنه يظهر لنا بوضوح أن ابن أبي الصَّلْت قد ألَّف هذا الكتاب في تاريخ بني زيري الصنهاجيين حكام المهدية، وقصد أن يجعله ذيلاً لكتاب الرقيق القيرواني (تاريخ إفريقية والمغرب) كما ذكر التجاني في رحلته[43].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن نموذج "تاريخ إفريقية والمغرب" الذي وضع في البلاط الصنهاجي أصبح مرجعية تاريخية للأسرة الباديسية الصنهاجية بإفريقية، ولهذا اهتم به كُتَّابُ البلاط الذين جاءوا بعد الرقيق، وعمدوا إلى تذييله، وكان أولهم الشاعر الأديب أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي (ت 460هـ/ 1071م)، وهو قيروانيٌّ عاش كذلك في بلاد المعز بن باديس، حيث دَوَّن أحداث المغرب وفق رؤية السلطة من سنة 417هـ/1026م إلى سنة 445هـ/1053م، وأكمل هذا العمل من بعده ابنه، حيث سجَّل أحداث المغرب إلى سنة 485هـ/1092م، وبعد وفاة ابن شرف وابنه، قام البلاطُ الباديسي بالمهدية بتذييل المؤلفات السابقة، وأسندت هذه المهمة إلى الطبيب والأديب الأندلسي أمية بن عبد العزيز بن أبي الصَّلْت (ت 529هـ/1134م)، حيث ذيل "تاريخ إفريقية والمغرب" وملحقاته إلى غاية السنوات الأخيرة التي سبقت وفاته، وأعطى لذيله عنوان "الديباجة في مفاخر صنهاجة"، وهو العنوان الذي يدل على التركيز على السلالة الصنهاجية الإفريقية (الزيرية الباديسية)، ويُعبِّر عن انحياز واضح للرؤية السياسية لبلاط المهدية المتميز بالقطيعة مع الماضي الفاطمي والعائد إلى النزعة القبلية الصنهاجية[44].

- **نُصُوصٌ من تاريخ ابن أبي الصَّلْت مرتبة بترتيب الأمراء الصنهاجيين:** كل النصوص التي وردت في المصادر المختلفة نقلاً عن كتاب ابن أبي الصَّلْت- رغم ندرتها- تتركز حول

الدولة الصنهاجية في إفريقية، بدءًا من المعز بن باديس ومَن جاء بعده من أولاده وأحفاده، مما يدفعنا إلى القول بأن ابن أبي الصَّلْت كان مؤرخًا للدولة الصِّنْهَاجيَّة على وجه الخصوص، وكان من أهم النصوص التي وردت في كتابه: الدِّيبَاجة في مفَاخِر صِنْهَاجَة ما يلي:

[خبر عن مقتل الشيعة في سائر بلاد إفريقية واستئصال شأفتهم على يد المعز بن باديس]:

"**قَالَ أَبُو الصَّلْت:** وَصَاحَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ صَائِحُ الْمَوْتِ، فَقُتِلُوا فِي سَائِرِ بِلاَدِ إِفْرِيقِيَّة"[45].

[أخبارٌ عن هزيمة صنهاجة بجبل حيدران أمام العرب الهلالية القادمين من المشرق، ثم هزيمة المعز بن باديس أمامهم مرة أخرى ومقتل ثلاثة آلاف وثلاثمائة من صنهاجة، ودخول العرب القيروان ووقوع الحرب فيها، ومقتل أعداد لا تُحْصَى من الناس بين رُقَّادة والمنصوريَّة]

"**قَالَ أَبُو الصَّلْت:** ثُمَّ بَرَزَ الْمُعِزُّ إلى لِقَاءِ الْعَرَبِ الْوَاصِلَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَجَرَّدَ عَسَاكِرَهُ وَقَدَّمَ عَلَيْهَا ابْنَ سَلْبُون، وزَكْنُون بن وَاعلاَن، وزِيرِي الصِّنْهَاجِي، وَعَادَ هُوَ إلى القَيْرَوَان، فَلَمَّا كَانَ عِيدُ النَّحْرِ انْهَزَمَت صِنْهَاجَة وَقُتِلَ مِنْهَا كَثِيرٌ، فَخَرَجَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِمْ، وَانْتَشَبَتِ الحَرْبُ بَيْنَ العَرَبِ وَبَيْنَهُ، فَهَزَمَتْهُ العَرَبُ، وَثَبَتَ المُعِزُّ فِي طَائِفَةٍ مِنْ عَبِيدِهِ، ثُمَّ عَادَ إلى المَنْصُورِيَّة، فَأُحْصِيَ مَنْ قُتِلَ مِنْ صِنْهَاجَة فِي هَذِهِ الوَقْعَةِ فَكَانُوا ثَلاثَةَ آلافٍ وثَلاثُمِائَةٍ، ثُمَّ أَقْبَلَتِ العَرَبُ حَتَّى نَزَلَت عَلَى القَيْرَوَانِ، وَوَقَعَتِ الحَرْبُ هُنَالِكَ، فَقُتِلَ بَيْنَ رُقَّادَة وَالمَنْصُورِيَّة خَلْقٌ كَثِيرٌ"[46].

[خبرٌ عن وفاة المعز بن باديس سنة 454هـ/1062م]:

"وَلَمْ يَمْكُثْ بِالمَهْدِيَّة إلا نَحْوَ سَنَتَيْنِ، وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُ، وَوَافَاهُ حِمَامُهُ، فَتُوُفِّيَ يَوْمَ السَّبْتِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِن شَعْبَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسُمِائَةٍ. هَكَذَا ذَكَرَ أَبُو الصَّلْت"[47].

[أخبارٌ عن المهدية وأحوالها وتعاقب الحكم فيها إلى حكم الأمير الحسن بن على بن يحى بن تميم]

"أَخْبَرَ أَبُو الصَّلْت قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَن بنِ عَبْدِ العَزِيزِ قَالَ: رَأَيْتُ عَلَى بَابِ رُجَار بِصِقِلِّيَّة رَجُلاً مِنَ الإِفْرِنْجِ طَوَيلَ اللِّحْيَةِ، يَتَنَاوَلُ طَرفَ لِحْيَتِهِ بِيَدِهِ، وَيُقْسِمُ بِالإِنْجِيلِ أَنَّهُ لاَ يَأْخُذُ مِنْهَا شَعْرَةً حَتَّى يَأْخُذَ ثَأْرَهُ مِنْ أَهْلِ المَهْدِيَّةِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لَمَّا انْهَزَمَ جُذِبَ مِنْهَا حَتَّى أَدْمَأَتْهُ". وختم ابنُ عذاري النقل عن كتاب ابن أبي الصلت بقوله: "إلى هنا انتهى كلامُ أبي الصَّلْت في أخبار المهديَّة وأميرهَا الحسن بن علي بن يحيى بن تميم إلى سنة 517هـ (1123م)"[48].

[تميم بن المعز بن باديس: صفاته وبراعته الأدبية والشعرية]:

"وَكَانَ تَمِيمٌ حَلِيمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا، هَجَاهُ ابنُ الحَدَّادِ الأَقْطَعُ، وَمِمَّا قَالَ فِيهِ:

الرُّومُ أَحْسَنُ عِنْدِي إِذَا اختبرت الأُمُورَا
مِنْ أَنْ يَكُونَ تَمِيمٌ عَلَى الثُّغُورِ أَمِيرَا

فَطَلَبَهُ، ثُمَّ اسْتَتَرَ، ثُمَّ حَبَّرَ قَصِيدَةً يَسْتَعْطِفُهُ بِهَا، وَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا، فَصَفَحَ عَنْهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ. ذَكَرَ ذلك أَبُو الصَّلْت أميَّةُ بنُ عبد العزيز بن أبي الصَّلْت في تَاريخه، قَالَ: وَكَانَ يَعْتَرِضُ الشُّعَرَاءَ، وَيَنْتَقِدُ عَلَيْهِمْ أَلْفَاظَهُمْ، فَلاَ يَتَخَلَّصُ مِنْهُ إِلا المَاهِرُ، أَنْشَدَهُ بَعْضُهُمْ فِي وَقْتِ هَرْجٍ:

تَثَبَّتْ لاَ يُخَامِرُكَ اضْطِرَابُ إِلَيْكَ تَمُدُّ أَعْيُنَهَا الرِّقَابُ

فَقَالَ لَهُ: "أَرَأَيْتَنِي- وَيْحَكَ- طِرْتُ خِفَّةً، وَرَمَيْتُ بِنَفْسِي مِنْ هَذَا الْعُلُوِّ قَلَقًا وَاضْطِرَابًا ؟" وَسَكَّتَهُ، فَلَمْ يَسْمَعْ مِن قَصِيدَتِهِ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ"[49].

[يحي بن تميم بن المعز بن باديس وحسن سياسته لرعيته وبراعته الشعرية]

"قَالَ أَبُو الصَّلْت في كتَابه: كَانَ يَحْيَي- قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - مَوْقُوفَ الفِكْرَةِ عَلَى سِيَاسَةِ رَعِيَّتِهِ، وَتَدْبِيرِ دَوْلَتِهِ، وَصَرفَ الهِمَّةَ إِلى ذَلِكَ عَنْ قَرْضِ الشِّعْرِ وَالاشْتِغَالِ بِهِ، مَعَ طَبْعٍ جَيِّدٍ، وَذِهْنٍ مُتَوَقِّدٍ، وَإِنَّمَا كَانَ يَقُولُهُ فِي أَوْقَاتِ فَرَاغِهِ وَعِنْدَ نَشَاطِهِ، فَمِمَّا أُنْشِدْتُ لَهُ:

أَلاَ يَا مُنْتَهَى طَـرَبِي وَمَنْ لَمْ يَعْدُهَا أَرَبِي
إِذَا مَـا كُنْتِ حَاضِرَةً شَرِبْتُ الرَّاحَ بِالنُّخَبِ
وَمَهْمَا غِبْتِ عَنْ بَصَرِي فَوَاحَزَنِي! وَوَاحَرَبِي![50]

وَكَانَتْ لَهُ غَزَوَاتٌ بَحَرِيَّةٌ عَمِلَهَا إلى بِلاَدِ الرُّومِ إلى أَنْ طَلَبُوا سِلْمَهُ، وَكَانَ قَدْ تَحَيَّلَ عَلَيْهِ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِنَ المَغَارِبَةِ تَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِصِنَاعَةِ الكِيمْيَاءِ، وَرَغِبُوا لَهُ فِي الحُضُورِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَحْضَرَهُمْ وَمَعَهُ مِنْ خَوَاصِّ رِجَالِهِ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ؛ أَحَدُهُمْ قَائِدُ جَيْشِهِ، فَلَمَّا أَنِسُوا بِالجُلُوسِ، وَثَبُوا بِالْخَنَاجِرِ المُعَدَّةِ فِي أَوْسَاطِهِمْ، فَقَتَلُوا قَائِدَ الجَيْشِ، وَأَفْلَتَ يَحْيَي بِجِرَاحَاتٍ ثَقِيلَةٍ إلى أَنِ اسْتَقَلَّ وَتَخَلَّصَ مِنْهَا، وَقُتِلَ أُولَئِكَ المَغَارِبَةُ وَصُلِبُوا"[51].

[يحي بن تميم بن المعز وبداهته الشعرية]:

"قَالَ أَبُو الصَّلْت: وَكُنَّا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ شَدِيدِ الْبَرْدِ، فَقَالَ بَدِيهًا:

أَمَا تَرَى القَرَّ قَدْ وَافَتْ عَسَاكِرُهُ ... فادْفَعْهُ مُنْتَصِرًا بالفَرْوِ والشَّرَرِ

وَقَهْوَةٍ عُتِّقَتْ فِي الدَّنِّ صَافِيَةٍ ... يَصْفُو بِهَا عَيْشُ حَاسِيهَا مِنَ الكَدَرِ

وَقَالَ لِي وَلِبَعْضِ كُتَّابِهِ: "أَجِيزَا"، فَعَمِلْنَا عَلَى جِهَةِ الاشْتِرَاكِ، وَجُلُّهُ لِلْكَاتِبِ:

يَا مَنْ حُلاَهُ جَمَالُ الْكُتْبِ وَالسِّيَرِ ... ومَنْ نَدَى يَدِهِ مُغْنٍ عَنِ الْمَطَرِ

ذَعَرْتَ عَبْدَيْكَ لَمَّا قُلْتَ مُرْتَجِلاً ... ضَرْبًا مِنَ الشِّعْرِ يُعْيِي أَشْعَرَ الْبَشَرِ

" أَمَا تَرَى القَرَّ قَدْ وَافَتْ عَسَاكِرُهُ"، البيت والذي بَعْدَهُ:

فَطَاوَعَاكَ وَقَالاَ تَابِعَيْنِ، وَمَنْ ... يُجَارِ سَحْبَانَ لاَ يَأْمَنْ مِنَ الْحَصَرِ

"تَسْعَى عَلَيْكَ بِهَا هَيْفَاءُ نَاعِمَةٌ ... تَسْبِي الْعُقُولَ بِحُسْنِ الدَّلِّ وَالْحَوَرِ

كَأَنَّ غُرَّتَهَا الْغَرَّاءُ شَمْسُ ضُحًى ... تَبْدُو لِعَيْنِكَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّعَرِ[52]

[دولة علي بن يحي بن تميم بن المعز بن باديس]:

"**قَالَ أَبُو الصَّلْت:** لَمَّا تُوُفِّيَ يَحْيَي وَقَعَ الاتِّفَاقُ عَلَى إِنْفَاذِ كِتَابٍ إلى ابْنِهِ عَلِيٍّ، يُسْتَقْدَمُ فِيهِ مِنْ مَدِينَةِ صَفَاقِس مُزَوَّرًا عَلَى لِسَانِ أَبِيهِ، وَأُنْفِذَ فِي الْوَقْتِ وَالسَّاعَةِ، وَضُبِطَتِ الأُمُورُ، وَحُصِّنَتِ الأَبْوَابُ بِالرِّجَالِ، وَبَادَرَ لِوَقْتِهِ صُحْبَةَ أَكَابِرِ العَرَبِ المُجَاوِرَةِ لِصَفَاقِس، فَوَصَلَ ثَانِي يَوْمِ وَفَاةِ أَبِيهِ، وَقَعَدَ لِلنَّاسِ، وَخَلَعَ عَلَى وُجُوهِ الدَّعْوَةِ، وَأَنْشَدَتْهُ الشُّعَرَاءُ..."[53].

[عليّ بن يحي بن تميم بن المعز وغزو جزيرة جربة]:

"**قَالَ أَبُو الصَّلْت فِي كِتَابِهِ الذي ذَيَّلَ بِهِ عَلَى كِتَابِ الرَّقِيق:** لَمَّا وَلِيَ أَبُو الْحَسَنِ (عَلِيٌّ) بنُ يَحْيَي بْنِ تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزّ، وَذَلِكَ فِي أَخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسُمِائَةٍ، وَاسْتَتَبَّ لَهُ أَمْرُهُ، وَاسْتَوْثَقَ مُلْكَهُ، أَمَرَ بِإِعْدَادِ الأَسَاطِيلِ لِغَزْوِ جَزِيرَةِ جِرْبَة، وَحَرَّكَهُ فِي ذَلِكَ مَا

تَرَادَفَ عَلَيْهِ مِنْ قَطْعِ أَهْلِهَا فِي الْبَحْرِ وَإِخَافَتِهِمْ الْمُسَافِرِينَ فِيهِ، فَتَمَّ ذَلِكَ، وَقَدَّمَ عَلَى الأُسْطُولِ قَائِدَ الْجَيْشِ إِبْرَاهِيمَ بنَ عَبْدِ اللهِ وَأَصْحَابَهِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ لِلْمَشُورَةِ فُلاَنًا وَفُلاَنًا، فَسَارُوا إِلَيْهَا، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ عَشْرٍ وَخَمْسُمِائَةٍ، فَحَاصَرُوهَا وَأَخَذُوا بِمُخَنَّقِهَا إِلى أَنْ أَقَرَّ أَهْلُهَا بِالطَّاعَةِ لِلسُّلْطَانِ، وَانْقَادُوا لأَمْرِهِ، وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، وَضَمِنَ أَشْيَاخُهُمْ وَمُقَدَّمُوهُمْ قَطْعَ جَمِيعِ الْفَسَادِ الوَاصِلِ إِلى سَاحَةِ إِفْرِيقِيَّة مِنْ قُطَّاعِهِمْ وَأَشْرَارِهِمْ وَأَن لا يَتَعَدُّوا بِمَتَاجِرِهِمْ المَهْدِيَّةِ، وَأَعْلَمَ السُّلْطَانَ بِذَلِكَ فَكَفَّ عَنْهُمْ، وَرَجَعَ الأُسْطُولُ، وَصَلُحَ الْبَحْرُ، وَارْتَفَعَ الْفَسَادُ، وَأَمِنَ الْمُسَافِرُونَ"[54].

قَالَ [أَبُو الصَّلْت]: "وَكَانَ أَمْرُ جِرْبَةَ وَاسْتِصْلاَحِ أَهْلِهَا قَدِ اسْتَعْصَى عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ عَلَى اتِّسَاعِ مُلْكِهِمْ وَكَثْرَةِ جُيُوشِهِمْ وَوُفُورِ أَمْوَالِهِمْ"[55].

- المنهج التاريخي لابن أبي الصَّلْت من خلال نصوص كتابه: من خلال النصوص الواردة في المصادر التي اعتمدت على كتاب ابن أبي الصَّلْت (الدِّيبَاجة في مفَاخِر صِنْهَاجَة) ونقلت عنه، وبخاصة "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذاري المراكشي، و"الحلة السيراء" لابن الأبار البلنسي، و"أعمال الأعلام- القسم الثالث" لابن الخطيب الغرناطي، و"رحلة التجاني"- حيث كانت هذه المصادر المشار إليها من أكثر المصادر التاريخية اعتمادًا على هذا الكتاب ونقلاً عنه- نستطيع أن نتبيَّن بعضَ ملامح المنهج التاريخيّ عند مؤرِّخ الدَّوْلَة الصِّنْهَاجيَّة ابن أبي الصَّلْت الدَّانِيّ الأندلسيّ، ونعرضه فيما يلي:

أ- اعتماده على الطريقة الحولية: يندرج كتاب ابن أبي الصلت تحت كتب "تاريخ الأُسَر"، وهي الكتب التي تهتم بالتأريخ للأُسَرِ الحاكمة في تاريخ الإسلام، حيث يُنْبئ عنوانه عن هذا الاتجاه: (الدِّيبَاجة في مفَاخِر صِنْهَاجَة)، فقد خصَّصه لأسرة بني زيري الصنهاجية التي حكمت المغرب الأدنى (إفريقية وبجاية) خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، ويبدو من خلال النصوص السابقة أن طريقته في معالجة الأحداث التاريخية هي الطريقة الحولية، حيث نلاحظ أنه كان يهتم بذكر التاريخ في كل حدث من الأحداث التي أوردها في تاريخه، بل كان دقيقًا في ذكر اليوم والشهر والسنة، وقد رأينا ذلك عند ذكره لوفاة المعز بن باديس.

ب- أسلوبه في الكتابة التاريخية: رغم أن ابن أبي الصَّلْت كان أديبًا متميزًا وشاعرًا معروفًا إلا أننا نلاحظ - من خلال النصوص التاريخية السابقة - أنه عندما لجأ إلى الكتابة التاريخية اهتم بإبراز المادة التاريخية في عبارات قصيرة توضح المعنى المقصود في براعة يستسيغها القارئ، واستخدم للتعبير عن الأحداث أسلوب السرد التاريخي البعيد عن التكلف، فجاء أسلوبه تلقائيًّا، سهلاً واضحًا، بعيدًا عن الغموض والتعقيد، فيذكر الحقائق التاريخية بأسلوب يسير مُبَسَّط، كما أنه ابتعد عن السجع والزخرفة اللفظية، فجاء أسلوبه قويمًا رصينًا بليغًا يرتفع إلى أحسن مستويات الأساليب العربية الصافية، وكان من أهم فوائد ابتعاده عن السجع أنه قدَّم لنا الحدثَ التاريخيَّ بصورة مباشرة بعيدة عن التكلف؛ لأن الاهتمام بالسجع والزخرفة اللفظية وإجهاد النفس للبحث عن السجعة المناسبة غالبًا ما يجني على الحقيقة التاريخية، بل يكون من أهم أسباب ضياعها، لأن المؤرخ إذا كتب على سجيته دون تكلفٍ أفصح وأبان وأفاد وأمتع، فإذا تكلف وسجع أسفَّ وهبط، وضاعت معانيه في جهد البحث عن السجعات.

ج- منهجه في الترجمة لأمراء الدولة الصنهاجية: اهتم ابنُ أبي الصلت اهتمامًا كبيرًا بالترجمة لأمراء الدولة الصنهاجية الذين عاصرهم وعاش في كنفهم، فذكر نسبهم، ومدة ولايتهم، كما اهتم كثيرًا بالناحية الشعرية، فذكر ما قالوه من الأشعار أو ما قيل فيهم منها، وأثنى على الجوانب الشخصية فيهم، وذكرهم بعبارات التقدير والاحترام، وربما كان هذا أمرًا طبيعيًّا؛ لأنه وجد منهم كل تقدير واحترام، وأنزلوه منزلة عالية في دولتهم، ورفعوا مكانته، وأغدقوا عليه من عطاياهم، وهذا يظهر جليًّا فيما أوردناه من نصوص كتابه السابقة، وقد اتبع في تراجمه أسلوبه التاريخيّ المعتاد، حيث ابتعد عن السجع والتكلف المعهود في التراجم للشخصيات، فجاءت ترجماته واضحةً وافيةً مباشرةً معبِّرةً عن الشخصية ومكنوناتها وما يحيط بها.

د- اهتمامه بالجانب العسكري: لاحظنا من خلال النُّصُوص التي بقيت لنا من كتاب ابن أبي الصَّلْت أنه كان يهتم بالجانب العسكري، خاصة فيما يتعلق بالجيش والأسطول، فقد أمدنا بمعلومات عن قوة جيوش بني زيزي الصنهاجيين وكثرتها ووفرة أموالهم، بل ذكر لنا أسماء بعض قادة هذا الجيش ومكانتهم، كما تحدَّث عن

أسطولهم ومدى استعداداته لحماية ثغور الدولة من غارات النورمان المتكررة، وكيف أنه استطاع الحفاظ على هيبة الدولة في مواجهة الخارجين عليها.

هـ- اعتماده على السَّماع كمصدر تاريخيّ: رغم قلة النُّصُوص التي عثرنا عليها من كتاب ابن أبي الصَّلْت إلا أنه من حسن الحظ أننا وجدنا نصًّا واحدًا من بين هذه النصوص يعتمد فيه ابن أبي الصلت على الرِّواية الشَّفهيَّة أو السماع من بعض الشخصيات التي عاصرت الأحداث مما يؤكد لنا أن هذا المصدر تكرر مرات عديدة في كتابه "الدِّيبَاجة في مفَاخِر صِنْهَاجَة"، قال ابن عذاري: "أخبر أبُو الصَّلْت قال: أخبرني عبدُ الرحمن بنُ عبد العزيز قال:...."[56].

ولا شك أن هذه الرِّواية الشَّفهيَّة تسد النقصَ في المادة التاريخية التي يعاني منها المؤرخون - غالبًا- في الفترات التاريخية التي يعاصرونها ويعيشون أحداثها، وفي ظل قلة المؤلفات التاريخية التي يستقي منها المؤرخُ الأخبار والمعلومات التاريخية لهذه الفترات، عندئذ نراه يعتمد بصورة واضحة على معاصرته للأحداث في تسجيلها، بالإضافة إلى هذه الرِّوايات الشَّفهيَّة التي يتلقَّاها عن بعض الأشخاص المقرَّبين من مركز السُّلطة، أو العارفين بأخبار الدَّولة وأسرارها.

ولعل ما ذكرناه- رغم قلة النُّصوص التي عثرنا عليها- يكفي لبيان محتوى كتاب ابن أبي الصَّلْت ومنهجه التاريخيّ من خلال ما بقي من نُصُوصه في المصادر التاريخية المختلفة، وكذلك بيان مدى أهمية هذا الكتاب والخسارة الكبيرة التي مُني بها البحثُ التاريخيُّ في الغرب الإسلاميّ جَرَّاء ضياع هذا المصدر التاريخيّ النَّفيس.

الهوامش:

(*) ذكره السيوطي في كتابه حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- منشورات دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)- ط 1، 1387هـ/1967م) بكنيتين؛ الأولى كنية: (أبي الفضل)، 1/ 80، ولم نعرف أحدًا من أصحاب كتب التراجم كناه بها غيره، والثانية، وهي الكنية المشهورة: (أبو الصلت)، 1/ 539.

(2) دانية (Dénia): مدينة مهمة من المدن الأندلسية، تقع ضمن حدود مقاطعة لقنت (Alicante) جنوب شرق إسبانيا، كما تقع جنوب مدينة بلنسية (Valencia) على ساحل البحر المتوسط، وتبعد عنها بنحو 16 فرسخًا، وتُعدُّ قاعدة من قواعد شرق الأندلس وميناءً مهمًّا، وهي مدينة مشهورة الذكر، جليلة القدر، تُعرف بكثرة أشجارها وفواكهها، وقد سقطت نهائيًّا في أيدي النصارى سنة 642هـ/1244م على يد ملك أراغون خايمي الأول (Jaime I). انظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص 19. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 2/434. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص96، حاشية رقم2. الإدريسي: نزهة المشتاق، 2/ 556-557. ابن الأبار: الحلة السيراء، 2/ 303. ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، 2/ 400. المقري: نفح الطيب، 1/ 166. أ. عنان: نهاية الأندلس، ص 67.

(3) إشبيلية (Sevilla): من كبرى المدن الأندلسية، بل عروس مدن الأندلس، وتعني الأرض المنبسطة، وهي أول عاصمة اتخذها المسلمون في الأندلس قبل قرطبة (Córdoba)، وتقع على نهر الوادي الكبير (Guadalquivir) إلى الجنوب الغربي من مدينة قرطبة، وقد اشتهرت بشرف البقعة وطيب الأرض. انظر: البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص 107. الرشاطي وابن الخراط الإشبيلي: الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، ص 102. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 1/ 195. ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول، ص60-63. الإدريسي: نزهة المشتاق، 541/2. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص18-22. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص138-139.

(4) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة- تحقيق: بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي- تونس- ط1، 2011م، 332/1، الترجمة رقم 539. تحفة القادم- أعاد بناءه وعلَّق عليه: د. إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط 1، 1406هـ/1986م، ص9.

(5) انظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء- شرح وتحقيق: نزار رضا -منشورات مكتبة الحياة- بيروت، د. ت، ص 501.

(6) وقَّش: بالفتح وتشديد القاف والشين معجمة، مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، 5/ 381.

(7) ابن بشكوال: الصلة- حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي- تونس- ط1، 2010م، 2/ 297-298، الترجمة رقم 1437.

(8) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 5/ 381. الذهبي: سير أعلام النبلاء- حققه وخرَّج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط11، 1417هـ/1996 م، 19/ 134-136، الترجمة رقم 71.

- F. Pons Boigues: Ensayo Bio-Bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos Arábigo-Españoles – Madrid, 1898, Trad. Núm. 159, pp. 198-199.

(9) ابن الأبار: التكملة- تحقيق: بشار عواد معروف، 1/ 332-333، الترجمة رقم 539.

(10) الذهبي: العبر في خبر من غبر- تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول- دار الكتب العلمية- بيروت- ط 1، 1405هـ/1985م، 2/ 432. وانظر: السيوطي: حسن المحاضرة، 1/ 539.

(11) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- حققه: د. إحسان عباس- دار صادر- بيروت- د.ت، 1/ 243.

(12) العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر- قسم شعراء المغرب- تحقيق: محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى- الدار التونسية للنشر- ط 3، 1986 م، 1/ 189، الترجمة رقم 91.

(13) المهدية: مدينة ساحلية تقع على الساحل الشرقي بوسط الجمهورية التونسية، وهي عبارة عن برزخ ممتد داخل البحر (شبه جزيرة) يحيط بها البحر من ثلاث جهات، كما أنها ذات مناخ معتدل تؤثر فيها التيارات الهوائية للحوض المتوسط، وتبعد نحو 205 كلم جنوب العاصمة تونس، وهي من بناء عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين، وإليه تنسب، وكان ابتداء بنائه لها سنة 303 هـ/ 915 م، وجعلها دار مملكته، وبعد خروج المعز لدين الله الخليفة الفاطمي إلى مصر سنة 360 هـ/ 970 م وتأسيس مدينة القاهرة حكم الصنهاجيون إفريقية ولكنهم تألبوا فيما بعد على الفاطميين فانتقم هؤلاء منهم وأرسلوا إليهم القبائل الهلالية التي أسهمت في نشر قدر كبير من الفوضى، ومنذ ذلك التاريخ عاشت المدينة فترات متعاقبة من الفوضى وعدم الاستقرار حتى حكمها العثمانيون، وظلت تحت سيطرتهم حتى بدايات العصر الحديث. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، 5/ 229-231. الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول، ص 117-118. الإدريسي: نزهة المشتاق، 1/ 281-283.

(14) انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، 1/ 304. ابن الأبار: الحلة السيراء- حققه وعلق حواشيه: د. حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة- ط 2، 1985 م، 2/ 22-23. الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م- نقله إلى العربية: حمادي الساحلي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط 1، 1992 م، 2/ 418-418.

(15) ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب- حققه وعلق عليه شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة- ط 4- د.ت، 1/ 262.

(16) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- حققه إحسان عباس- دار صادر- بيروت، 1388هـ/1968م، 105/2.

(17) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 1/ 246.

(18) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 501. ويرى عبد السلام هارون في رواية ابن أبي أصيبعة هذه - إن صحت- دليلاً على ورود أبي الصلت مرة أخرى إلى مصر، تقديم الرسالة المصرية، ص 7.

(19) ابن الأبار: تحفة القادم- أعاد بناءه وعلق عليه: د. إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1، 1406هـ/1986م، ص9-10.

(20) عاصر هذا الوزير الخليفة الفاطمي المستعلي بالله (487-495هـ/1094-1101م)، وجزءًا من خلافة الآمر بأحكام الله (495-524هـ/1101-1129م)، وقد عُرف هذا العصر في تاريخ الدولة الفاطمية باسم عصر الوزراء العظام، حيث كانت مقاليد الأمور بيد الوزراء، ولم يكن للخليفة الفاطمي شيئًا من النفوذ والسلطان.

(21) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 501-502.

(22) خزانة البنود كانت من جملة الخزائن بالقصر الفاطمي، والبنود هي الرايات والأعلام، وبما أن أمية بن أبي الصلت كان معدودًا من الأعيان المقربين فإن مثل هذا الحبس هو المناسب في حقه، فقد ذكر المؤرخ المصري تقي الدين المقريزي (ت 845هـ/1141م) أن الأمراء والوزراء والأعيان يتم حبسُهم بخزانة البنود، بينما كان حبس المعونة خاصًّا بأرباب الجرائم انظر: المقريزي: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط 2، 1987 م، 1/ 424.

(23) ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، 1/ 262.

(24) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 502.

(25) انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، 1/ 246. ابن الأبار: تحفة القادم، ص 9.

(26) ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، 1/ 261، ترجمة رقم 186.

(27) انظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص514. آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي- نقله عن الإسبانية: د. حسين مؤنس- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، 1955م، ص125. وقد حقق هذه الرسالة الأستاذ عبد السلام هارون سنة 1951م، ونشرتها شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ثم أعيد نشرها في طبعة ثانية في سلسلة نوادر المخطوطات بالمطبعة نفسها سنة 1392هـ/1972م.

(28) وقد ذكر الدكتور محمد الطالبي أن هذه الترجمة توجد في المخطوط رقم 1036 بالمكتبة الوطنية بباريس. انظر: د. محمد الطالبي: الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين- مجلة الأصالة الجزائرية- العدد 26 - 1975م، ص 72 + حاشية رقم 3. وراجع: دائرة المعارف الإسلامية تحت عنوان (أبو الصلت).

(29) انظر: المقري: نفح الطيب، 2/ 105-106. وابن سعيد الذي يذكر لنا انتشار الألحان الأندلسية التي أدخلها ابن أبي الصلت إلى إفريقية، ولد سنة 610هـ/1213م، وتوفي سنة 685هـ/1286م.

(30) انظر: نجيب العقيقي: المستشرقون- دار المعارف- القاهرة- ط 5، 2006م، 2/ 202.

(31) ابن العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر- قسم شعراء المغرب- ط تونس 1966م، ص189-284، حيث أورد العماد من هذا الديوان مختارات طويلة. وقد ظهر الديوان في طبعته الأولى بتحقيق: عبد الله محمد الهوني، ونشرته دار الأوزاعي للطباعة والنشر- بيروت- لبنان، 1410هـ/ 1990م، في نحو 186 صفحة.

(32) ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، 1/ 262. وانظر: آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 125.

(33) انظر ترجمته في: ابن خلكان: وفيات الأعيان، 1/ 243-247، الترجمة رقم 104. القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء- علق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين- دار الكتب العلمية- بيروت- ط 1، 1426 هـ/ 2005 م، ص 66. ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 501-515. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، 4/ 83. المقري: نفح الطيب، 1/ 530. أبجد العلوم، 3/ 65. وقد ذكر هؤلاء أن وفاته كانت في المحرم سنة 529 هـ، وذكر القليل منهم أنها كانت في المحرم سنة 528 هـ، ولكن الإجماع على أنها كانت في المحرم سنة 529 هـ، وقد اتفق معهم ابن سعيد الأندلسي في الشهر (المحرم)، وخالفهم في السنة، فقال إنه توفى سنة 546 هـ في المحرم. انظر: المغرب في حلى المغرب، 1/ 261. وكذلك كان شأن ابن عذارى حين خالف هذا الإجماع وذكر أن أبا الصلت توفى سنة 536 هـ. انظر: البيان المغرب، 1/ 312.

(34) ابن الأبار: الحلة السيراء، 2/ 23.

(35) مفاخر البربر لمؤلف مجهول- دراسة وتحقيق: د. عبد القادر بوباية- دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط- ط1، 2005م، ص144. والحسن صاحب المهدية المذكور هو: الحسن بن علي بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلقين بن زيري، تولى

بعد أبيه سنة 515هـ/1121 م، وأخرجه (روجر الثاني) ملك صقلية من المهدية، ثم عاد إليها بعد أن استردها عبد المؤمن بن علي سنة 555هـ/1160م، وبعد ثماني سنوات استدعاه يوسف بن عبد المؤمن، فارتحل بأهله إلى مراكش، وهلك بتامسنا سنة 566هـ/1170م. انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثالث (تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط)- تحقيق وتعليق: د. أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني-دار الكتاب-الدار البيضاء، 1964 م، ص 83.

(36) ابن عذارى: البيان المغرب، 2/1. وراجع في ذلك بحثنا: منهج ابن عذارى المَرَّاكُشِي ومصادره في البيان المغرب- مجلة ندوة التاريخ الإسلامي التي يصدرها قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة- العدد الحادي والعشرون، جمادى الأولى 1428هـ/ يونيه 2007م، ص 64-66.

(37) انظر: رحلة التجاني- قدَّم لها: حسن حسني عبد الوهاب- الدار العربية للكتاب- ليبيا/ تونس، 1981 م، ص 125.

(38) ياقوت الحموي: معجم الأدباء- تحقيق: د. إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط 1، 1993 م، 2/ 741.

(39) ابن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات- تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط 1، 1420 هـ/ 2000 م، 9/ 230.

(40) البغدادي: هدية العارفين، أسماء المؤلفين والمصنفين- دار إحياء التراث العربي- بيروت- د.ت، 1/ 228.

(41) مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص 144.

(42) الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، 1/ 17-18.

(43) انظر: رحلة التجاني، ص 125.

(44) د. علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، 2008م، ص161.

(45) البيان المغرب- تحقيق: د. بشار عواد معروف، 1/ 299.

(46) البيان المغرب- تحقيق: د. بشار عواد معروف، 1/ 319.

(47) البيان المغرب- تحقيق: د. بشار عواد معروف، 1/ 326.

(48) البيان المغرب- تحقيق: د. بشار عواد معروف، 1/ 343.

(49) ابن الأبار: الحلة السيراء، 2/ 23.

(50) وقد وصف ابنُ الأبار هذا الشعر بأنه ضعيف، فقال: "وليحي هذا شعرٌ ضعيفٌ، منه قوله:....". انظر: الحلة السيراء، 2/ 189-190.

(51) ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص 80-81.

(52) ابن الأبار: الحلة السيراء، 2/ 190-191.

(53) ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص 81.

(54) رحلة التجاني، ص 125-126.

(55) رحلة التجاني، ص 126.

(56) البيان المغرب- تحقيق: د. بشار عواد معروف، 1/ 343.